

الجغرافية التاريخية لهضبة الجولان



1. التسمية

الجولان في اللغة هو اسم مشتق من الفعل جال، يجول وهي ظاهرة مرتبطة بحركة الناس بالتنقل والترحال، أما في الأرامية فقد أطلق على الجولان اسم جيلان أو جلانا أو جولانا وتشير إلى معنى التجوال والتنقل أيضاً، واسماها اليونانيون جولانيتس ثم تحول في العصر الروماني إلى جولانيتيد، وقد أجمعت المصادر التي تحدثت عن أصل التسمية إلى ارتباطها بطبيعة المنطقة الرعوية وحاجة الإنسان المستمرة للبحث عن مصدر غذاء له ولحيواناته خاصة مع وجود فرق في درجة الحرارة بين الشمال والجنوب، وهو ما فرض على الإنسان وحيواناته دوام الحركة والتنقل بحثاً عن الكأ.

ويدل ظهور اسم الجولان في المصادر القديمة وبلغات متعددة على قدم الاسم من جهة وعلى أهمية المنطقة ودورها الحضاري في تلك الحقب المختلفة من التاريخ. وقد لاقى البحث عن اسم الجولان وأصله في العصر الحديث اهتماماً واسعاً لدى الكتاب والمثقفين خاصة بعد نشوء الصراع السوري - الإسرائيلي؛ حيث أخذ موضوع الجولان بعداً سياسياً نتيجة محاولة الصهاينة إعادة الاسم إلى اللغة العبرية لتثبيت الحق اليهودي في أرض الجولان وربطه بمقولة أرض الميعاد.

2. الموقع

تقع هضبة الجولان في الجزء الجنوبي الغربي من الجمهورية العربية السورية الحالية، في المنطقة الواقعة على طريق القوافل المؤدية من بغداد ودمشق إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط شرق خط غرينتش، بين خطي الطول الغربي 35 درجة و 6 دقائق والطول الشرقي 35 درجة و 56 دقيقة ودائرتي العرض الجنوبي 33 درجة و 15 دقيقة والعرض الشمالي 32 درجة و 40 دقيقة شمال خط الاستواء، وترتفع الهضبة تدريجياً عند التوجه من الجنوب إلى الشمال بارتفاع قد يصل إلى 200 متر فوق سطح البحر في بعض المناطق.

3. الحدود

تقسم حدود الجولان إلى قسمين: الحدود الجغرافية والحدود السياسية. أما الحدود الجغرافية؛ فيحد هضبة الجولان من الجهة الشمالية السفح الجنوبي والجنوبي الشرقي من جبل حرمون (الشيخ) الذي يشكل حدودها مع لبنان، ويحدها من الغرب نهر الأردن وبحيرة طبريا ويشكلان حدودها مع فلسطين، ومن الجنوب المجرى الأسفل لنهر اليرموك الذي يفصلها عن مرتفعات عجلون والأردن الشمالية الغربية، أما من الشرق فيحدها وادي الرقاد الذي يشكل الحدود الإدارية مع محافظتي درعا ودمشق.

ويضم الجولان إداريا ثلاثة أفضية هي: قضاء الجولان أو القنيطرة، وقضاء الزاوية، وقضاء وادي العجم وقد اتخذ الجولان الصفة الإدارية بعد إحداث محافظة القنيطرة عام 1964 والتي تبلغ مساحتها 1860 كيلومتراً مربعاً وتضم الوحدة الجغرافية المعروفة بمنطقة الجولان، وتبعد القنيطرة مركز المحافظة عن وسط مدينة دمشق ما يقارب من 67 كم.

أما الحدود السياسية، فإن بلاد الشام لم تعرف الحدود السياسية حتى الحرب العالمية الأولى، لأنها كانت وحدة سياسية ضمت وحدات إدارية تعرضت للتغيير حسبما تقتضيه الظروف السياسية والإقليمية لكل حدث منها. وكانت منطقة الجولان في التقسيمات الإدارية العثمانية تقع ضمن ولاية دمشق، وسارت حدود الولاية مع الضفة الغربية لنهر الأردن وشملت داخلها منابع هذا النهر وبحيرة الحولة، ثم تدخل الحدود بحيرة طبرية لتسير في وسطها وتسير مع الضفة الغربية لنهر الأردن تاركة إياه ضمن ولاية سوريا.

ظل هذا الوضع حتى الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية في هذه الحرب، ثم مجيء الاستعمار الفرنسي والبريطاني للذين عملا على اقتسام ما تبقى من ممتلكات الدولة العثمانية، بموجب اتفاقية سايكس - بيكو عام 1916 التي قسمت بلاد الشام إلى أربع وحدات سياسية هي: سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن. وبموجب هذه الاتفاقية فقد أدخلت بحيرة طبرية بالكامل ومنطقة الجليل الأعلى وجميع مصادر نهر الأردن ضمن حدود الجولان السوري، وفتحت المجال واسعا لمساومات بريطانية - فرنسية حول الحدود السياسية بين سورية وفلسطين، كما لعبت الحركة الصهيونية دورا بارزا في هذه المساومات وأثرت كثيرا فيها.

وبعد أن نجحت الحركة الصهيونية في إقناع بريطانيا بتبني مشروعها الاحتلالي وإصدار وعد بلفور في 2 تشرين ثاني/نوفمبر 1917، سعت هذه الحركة إلى توسيع مساحة الانتداب البريطاني، وركزت في هذا المجال على عاملي الماء والأرض كضرورة حياتية لقيام المشروع الصهيوني، وراحت تضغط لإدخال نهر الأردن وكامل حوضه ضمن حدود الانتداب، ونشرت جملة خرائط تضم جميعها مناطق الجولان وحواران ضمن ما أسموه "أرض إسرائيل"،

وقد تجسدت هذه الرغبة بشكل واضح في المذكرة التي تقدمت بها الحركة الصهيونية عام 1919 إلى مؤتمر السلام الذي عقد في باريس.

ومع اشتداد التنافس بين دولتي الانتداب على مناطق نفوذهما، طرأت بعض التغييرات على اتفاقية سايكس - بيكو، ففي حين حصلت سورية على كامل بحيرة طبرية بموجب الاتفاقية السابقة، أصبحت البحيرة بكاملها داخل حدود فلسطين بموجب اتفاقية لويد - وكليمنصو بتاريخ 15/9/1919، ثم عادت سورية وحصلت على جزء من البحيرة في معاهدة سان ريمو في 1920/4/24.

ونظرا لنقاط المصالح الاستعمارية لدولتي الانتداب، وبضغط من الحركة الصهيونية العالمية، أعيد رسم الحدود مرة أخرى عن طريق الاتفاقية الفرنسية - البريطانية المعروفة باتفاقية بوليه - نيوكومب عام 1923 والتي عينت حدود الجولان الحالية وتم بموجبها وضع بحيرة طبرية بكاملها ضمن حدود فلسطين، ومرّ خط الحدود إلى الشرق من البحيرة، وأعيد منبع نهر بانياس إلى الأراضي السورية. وتعتبر هذه الاتفاقية من أهم الاتفاقيات السابقة وأخطرها، قد حظيت بصفة شرعية دولية حين صادقت عليها عصبة الأمم المتحدة عام 1934 وعرفت هذه الحدود اصطلاحا بالحدود الدولية.

بقيت الحدود الدولية قائمة حتى حرب عام 1948، والتي أدت إلى توقيع الدول العربية لاتفاقيات الهدنة مع "إسرائيل"، ووفق اتفاقية الهدنة السورية - الإسرائيلية والموقعة بتاريخ 20/7/1949، ظهر ما بات يعرف بالمناطق المجردة من السلاح وهي المناطق الواقعة بين خط الهدنة الجديد وخط الحدود الدولية عام 1923 ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المناطق المجردة من السلاح كانت أحد الأسباب الرئيسية لاندلاع حرب 1967، بعد المخالفات والاستفزازات التي قامت بها إسرائيل في تلك المنطقة.

4. المساحة

تبلغ مساحة هضبة الجولان 1750 كم مربع. وتساوي 1% من المساحة الإجمالية للجمهورية العربية السورية الحالية، وتمتد الهضبة مسافة 74 كم من جبل الشيخ حتى الشاطئ الشرقي لبحيرة طبرية. يأخذ الجولان شكلاً هندسياً متطاولاً من الشمال إلى الجنوب ممتداً مسافة 65 كم بعرض يصل إلى 28 كم في الوسط، ثم يضيق في الجنوب إلى 12 كم، وفي الشمال يصل العرض إلى 14 كم، تحتل إسرائيل 1250 كم مربع من الهضبة منذ حرب حزيران 1967، وبعد حرب تشرين الأول 1973 تمكنت سوريا من تحرير ما مساحته 100 كم مربع منها.

5. التضاريس

تضاريس هضبة الجولان ليست سوى امتداد لتضاريس المنطقة المحيطة بها، إلا أن ما يميزها هو التنوع الجيولوجي الذي تحظى به الهضبة؛ أولاً: لوجود جبل الشيخ الذي يرتفع إلى 2814 متر فوق سطح البحر ويقع إلى الشمال من هضبة الجولان - وقد منح جبل الشيخ المنطقة بعداً إستراتيجياً بسبب موقعه المسيطر الذي يطل على الجنوب اللبناني وعلى هضبة الجولان وعلى جزء كبير من جنوب سورية وشمال فلسطين - ثانياً: لوجود أخفض نقطة بالقرب من بحيرة طبرية التي تنخفض إلى 212 متر تحت مستوى سطح البحر.

هذا الاختلاف في التضاريس ما بين الارتفاع والانخفاض عمل على مرور المؤثرات المناخية البحرية على مناطق طبرية وسهل الحولة، والتي بدورها تساعد على هطول الأمطار بغزارة.

تنتشر في الجولان سلسلة من التلال البركانية المتواصلة، منها تل وردة قرب قرية بقعاتا الذي يبلغ ارتفاعه قرابة 1226 متراً عن سطح البحر، وتل الأحمر الذي يرتفع 1187 متراً عن سطح البحر، وتل (أبي الندى) بارتفاع يصل إلى 1204 أمتار عن سطح البحر وغيرها كما تحتوي المنطقة على سلسلة جبال مستمرة، يطلق عليها اسم جبال الجولان يصل ارتفاع بعضها إلى 2880 متر عن سطح البحر، وهي ذات اتجاه شمال غرب - جنوب - جنوب شرق، وتبدأ من جنوب القنيطرة وتنتهي عند بلدة الرفيد.

وعلى مدى طويل غطت الأحراش قسماً كبيراً من مساحة الجولان، إلا أن هذه المساحات تناقصت مع الزمن بسبب قطع السكان للأشجار لاستخدامها في التدفئة وعمليات البناء، كما ازدادت حاجة السكان لاستغلال أراضي الأحراش لزراعتها خاصة بعد الاحتلال وسيطرة إسرائيل على الجزء الأكبر من الأراضي الزراعية الخصبة، ومع ذلك بقيت هناك عدة أحراش مهمة منها:

حرش مسعدة: الذي يقع شمالي الجولان إلى الغرب من قرية مسعدة، ويحوي 80% منه على أشجار السنديان والسرو والصنوبر.

حرش الجوزة: ويقع بالقرب من قرية الجوزة إلى الجنوب من مدينة القنيطرة ومعظم أشجاره هي السنديان. حرش الياقوسة: بالقرب من قرية الياقوسة جنوبي الجولان ويمتد على مساحة 4 كم مربعه، وتكثر فيه أشجار السنديان والبلوط والخروب.

تختلف طبيعة سطح الأرض بين المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية من الجولان، فبينما تسود الوعورة الشديدة المنطقة الشمالية - بسبب وجود التلال والجبال المتعددة وقلة التربة لأن مياه الأمطار تجرفها إلى المناطق المنخفضة التي تقع في الجنوب - تبدأ هذه الوعورة بالتلاشي عند الاتجاه نحو الجنوب، وتزداد مساحة الأراضي المنبسطة التي تشكل سهول فيق والعال وكفر حارب والجوخدار.

وتصنف طبقة الصخور في هضبة الجولان على أنها بركانية لونها أسود مائل للزرقة أحياناً، أما التربة فهي من نموذج تربة الهضاب البازلتية التي تنتمي إلى مجموعة تربة البحر الأبيض المتوسط الداكنة، وهي تربة خصبة تصلح لشتى أنواع الزراعات، كما تشكل مراعي ومروجاً طبيعية غنية. وتربة المنطقة الشمالية من الجولان رقيقة ومخلخلة وغنية بالأحجار والصخور، في حين تقل نسبة هذه الأحجار وتزداد التربة سماكة في المنطقة الجنوبية يعد الجولان من مناطق سورية الغنية بالمياه قياساً إلى مساحته الصغيرة حيث يبلغ معدل المياه الناتجة عن الأمطار وذوبان الثلوج ما يقارب 1.2 مليار متر مكعب سنوياً، يتعرض 81 % منها للتبخر، و 10 % ينزل في جوف الأرض، وما تبقى يجري على السطح مشكلاً المياه السطحية للجولان التي تغذي الأنهار الحدودية الموجودة في المنطقة قبل أن تقوم إسرائيل بالاستيلاء عليها وسلب مياهها، وأهم هذه الأنهار:

• نهر الأردن وروافده: الحاصباني وبنانيس والدان، التي تنبع جميعها من قمم جبل الشيخ، وتصب في نهر الأردن، ويبلغ مجموع ما يصل نهر الأردن من جميع روافده 572 مليون متر مكعب سنوياً.
• نهر اليرموك: الذي ينبع من جنوبي سوريا ويشكل حدودها الجنوبية مع الأردن، ويحمل نهر اليرموك إلى نهر الأردن ما يقرب من 500 مليون متر مكعب سنوياً ويشكل 38% من مياه النهر.

أما الينابيع في الجولان فيصل عددها إلى 80 ينبوعاً، وهي ضعيفة الغزارة، ولا تشكل مياهها إلا جداول صغيرة وقصيرة على سطح الهضبة، وأهمها ينبوع بانياس في الشمال. وفي الجنوب تشتهر ينابيع الحمة؛ وهي مياه معدنية حارة ذات خصائص علاجية واستجمامية، وتتألف من عدة ينابيع تصل درجة حرارة بعضها إلى 49 درجة مئوية، ويبلغ معدل تصريف ينابيع الحمة 63 مليون متر مكعب سنوياً، تصب جميعها في مياه نهر اليرموك.

ومن أشكال المياه السطحية الأخرى في الجولان البرك المائية؛ وهي عبارة عن حفر قليلة العمق ساهم الإنسان في إيجادها لتجميع مياه الأمطار في هذه البرك واستخدامها لاحقاً للأعمال المنزلية أو لسقاية الحيوانات، وتعد بحيرة مسعدة أكبر بركة اصطناعية في الجولان 9 أمتار، تتسع لثلاثة ملايين متر مكعب من المياه بعمق يصل من 8 ويصل مخزون المياه الجوفية في هضبة الجولان إلى نحو 120 مليون متر مكعب، وتساعد الصخور البازلتية المنتشرة هناك على تسرب المياه إلى طبقات الأرض الداخلية بسبب كثرة الشقوق فيها، وهنا تجب الإشارة إلى أهمية وجود جبل الشيخ بوصفه أحد أهم مصادر المياه الجوفية وأغناها في سورية، وقد وصفه أحد الباحثين قائلاً: "إن جبل الشيخ ليس مجرد حد شمالي لإقليم الجولان، ولكنه العامل الجغرافي الأساسي في مناخ الجولان وخزان المياه في المنطقة." وبسبب أهمية جبل الشيخ فقد تعرضت المنطقة لعدد من التغيرات والتبدلات الحدودية بهدف السيطرة على مصادر المياه في الجولان، وهذا ما سيظهر لنا بصورة أوضح في الفصول القادمة.

6. المناخ

ينتمي مناخ الجولان إلى نموذج المناخ الهضبي - الجبلي لمنطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، وتصله المؤثرات البحرية بسهولة بسبب قربها من البحر، حيث لا يبعد عنه سوى 65 كم). لقد جعل الموقع الجغرافي والتضاريس المنطقة تتمتع بمناخ يميزها عن غيرها من المناطق التي تقع إلى الشرق من البحر المتوسط، خاصة فيما يتعلق بدرجة الحرارة ومعدل هطول الأمطار والرطوبة.

أما درجة الحرارة في الجولان فهي معتدلة، ويتراوح متوسطها في الصيف بين 22 درجة في الشمال و 25 درجة في الجنوب، بينما يتراوح معدل درجات الحرارة في الشتاء بين درجة في الشمال و 14.4 درجة في الجنوب، باستثناء منطقة الحمة التي يرتفع فيها متوسط 28 درجة صيفاً و 14 درجة شتاءً، مما أهل هذه المنطقة لتكون درجات الحرارة إلى حدود 29 منتجعا شتوياً نموذجياً منذ العهد الروماني إلى اليوم.

ويعد هطل الأمطار الغزيرة من الظواهر المناخية المميزة لفصل الشتاء في منطقة 1000 ملم في المناطق الشمالية والجبال، - الجولان إذ يبلغ متوسط الهطل السنوي بين 800 700ملم في الجنوب والغرب- وبين 400 600 متر فوق - وتتساقط الثلوج على المناطق التي يصل ارتفاعها إلى أكثر من 500. ويتركز - 20 يوماً في السنة بارتفاع قد يصل من 5 - سطح البحر بمعدل 15 سقوط الثلج على جبل الشيخ الذي يشكل وجوده عاملاً

جغرافيا هاماً في مناخ الجولان، بسبب تراكم الثلوج في الأحواض التي تقع على قمة الجبل، وتستقر فيها لفترات طويلة بحيث يؤدي ذوبانها في فصل الصيف إلى إمداد الينابيع والأودية الصغيرة والأنهار بالمياه. وتنشط في الجولان الرياح الغربية معظم أيام السنة، هذه الرياح الناتجة عن الفرق في درجة الحرارة بين الشمال والجنوب، وبين البحر والبر، وبين المرتفعات وصحراء بادية الشام، وتحمل هذه الرياح الرطوبة الجوية التي تصل نسبتها في الجولان إلى أكثر من 48 درجة صيفا و 83 درجة شتاء. ويتميز الجولان بتشكيل ظاهري الضباب والندى اللتين يقدر متوسط عدد لياليهما 170 ليلة، ويحتل الندى أهمية بالغة في فصل الصيف؛ لأنه يساعد على نمو المزروعات الصيفية والحفاظ على أعشاب المراعي خضراء، ويشتهر في الجولان تل (أبو الندى) نسبة لهذه الظاهرة الطبيعية، أما في فصل الشتاء فإن الأوقات الباردة جدا عادة ما يصاحبها تجلد للمياه وتكون الصقيع.

7. اقتصاد الجولان

يعتمد اقتصاد الجولان بشكل أساسي على الغطاء النباتي وتوفر المياه، فلم يعثر في أرضه على أية مكامن للمعادن أو الثروات التي يمكن أن تستخدم بشكل اقتصادي مثمر، عدا الحجارة والصخور الموجودة على أرض الجولان والتي يستغلها السكان في أعمال البناء ورصف الطرقات، مما أدى إلى افتقاره لمناطق صناعية تشكل استقطابا عماليا وقيام مدن كبيرة.

وكان لمناخ الجولان دور بارز في إنعاش صناعة الاصطياف والاستجمام في المنطقة، سواء في ينابيع الحمة المعدنية الحارة، أو على قمة جبل الشيخ وسفوحه التي يرتادها الناس لممارسة رياضة التزلج والسياحة. وقد تركز الاقتصاد في الجولان على الزراعة وتربية الحيوانات التي شغلت المقام الأول في هذا المجال نظرا لتوافر عناصر التربة والماء والمناخ الملائم للمزروعات، حيث بلغت مساحة الأرض القابلة للزراعة في عام 1966 ما يقارب 107150 هكتار، بلغت مساحة المزروع منها فعليا 39352 هكتار وهو ما يعادل 36.7 من إجمالي المساحة القابلة للزراعة. وقد تقلصت المساحة التي يزرعها السوريون في الجولان بعد احتلال إسرائيل معظم مساحة الهضبة لما نسبته 7.7 % فقط، حيث صادرت إسرائيل معظم الأراضي لإقامة المستوطنات أو كمراع للماشية، كما حددت بعض المناطق للتدريبات والمناورات العسكرية، وما تبقى يتبع لسلطة حماية الطبيعة. وتتصف المحاصيل الزراعية في الجولان بالتنوع والجودة، إلا أن الكميات المنتجة قليلة بسبب صغر المساحات المزروعة، واستخدام السكان الأساليب التقليدية في الزراعة، بالإضافة إلى اعتمادهم على الزراعة البعلية، وبعد أن يحصل السكان على حاجتهم من المحصول كان يتم إرسال الفائض منه إلى سوق القنيطرة أو إلى سوق العاصمة السورية دمشق لبيعه.

ويعد القمح من أهم المحاصيل التي تزرع في الجولان، حيث يعتبر مادة أساسية في الغذاء، كما يزرع الشعير من أجل تغذية الحيوانات، بالإضافة إلى الحمص والعدس وغيرها من البقول. وتنتشر زراعة الخضر المختلفة خاصة في المناطق التي تكثر فيها المياه السطحية كسهل البطيحة. وتشتهر المناطق الشمالية بزراعة الأشجار المثمرة، كالتفاح والكرز والكرمة والزيتون.

ولأن أرض الجولان مصدر طبيعي وخصب لنمو المراعي والمروج الخضراء فإن ذلك ساعد في جعلها مكانا مناسباً لتربية الحيوانات المختلفة، ويأتي الغنم على رأس هذه الحيوانات، كما يربي السكان البقر والثيران والعجول التي كانت تباع في أسواق فلسطين قبل الاحتلال الإسرائيلي لها بأسعار مرتفعة، بسبب جودة لحومها كما يربي سكان الجولان الطيور الداجنة بمختلف أنواعها، وتنتشر تربية النحل بسبب ملائمة طبيعة المنطقة لإنتاج أنواع جيدة من العسل، ويمتاز عسل الجولان بارتفاع أسعاره.

ويمتلك الجولان موردا طبيعيا يتمثل في الثروة السمكية الموجودة في بحيرة طبرية، التي كان السكان يستغلونها لتأمين مورد رزق لهم، لكن الإسرائيليين منعوا السكان من هذه المهنة، ومدوا الشباك على طول شواطئ البحيرة منعا لوصول الأسماك منذ العام 1960.

وصلت نسبة العاملين في القطاع الزراعي - الحيواني في هضبة الجولان إلى نحو 63 % من مجموع القوة العاملة في المنطقة؛ وهو ما يفسر أهمية هذا القطاع بالنسبة للسكان على الرغم من ضعف الإنتاج وقلة مردوده الاقتصادي.

فيما يتعلق بالصناعة في الجولان فقد بلغت نسبة العاملين فيها ما يعادل 19 % من إجمالي القوة العاملة عام 1967، وتشير هذه النسبة المتدنية إلى صغر حجم هذا القطاع وعدم أهميته في المنطقة، وكما سبق وأشرنا فإن عدم وجود أية ثروات معدنية مكتشفة في المنطقة أثر سلباً على تقدم وتطور هذا القطاع، وبقيت الصناعة صغيرة ومحلية واقتصرت على وجود عدد من الورش والمشاغل الصغيرة تركز معظمها في مدينة القنيطرة، كصناعة مواد البناء ومعاصر الزيتون ومطاحن الحبوب ومشاكل للنجارة والحدادة، وصنع البسط والسجاد والمنسوجات الصوفية اليدوية، وصناعة مشتقات الألبان التي تستهلك محلياً أو ترسل إلى المناطق المجاورة لبيعها، وبالمقابل يشتري السكان بثمنها حاجاتهم من الأقمشة والسكر والشاي والبن والحاجات الضرورية للمنزل.

وقد نشطت الحركة التجارية في الجولان بسبب ارتفاع أعداد السكان خاصة بعد حرب 1948 واحتلال إسرائيل لفلسطين، وتدفق عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين إلى الجولان، كما أقيمت معسكرات للجيش السوري على طول الحدود مع فلسطين بعد أن أصبح الجولان منطقة مهددة من قبل إسرائيل واضطر الكثير من أفراد الجيش السوري للقدوم مع عائلاتهم والسكن في الجولان مما زاد في حركة الاستهلاك وتحسن المستوى المعيشي للسكان.

8. السكان

السكان الأصليون في الجولان هم من أصول عربية، وينتمون لعدة قبائل مثل غسان والأرد، وهم من قبيلة لخم باليمن، وتسربوا من شبه الجزيرة العربية على شكل قبائل قبل الإسلام بقرون، إذ كانت المروج والمراعي الجولانية ووفرة المياه تغري البدو الرحل لارتداد المنطقة ثم الإقامة فيها مع الزمن.

يشكل الدروز النسبة الأكبر من عرب الجولان، فهم ينحدرون من قبائل عربية يمنية، ويعترفون بنبي الإسلام محمد وبالقرآن، إلا أنهم يفسرون النصوص الدينية حسب طريقتهم.

يعيش الدروز في مجتمع مغلق لا يعرف تعدد الزوجات ولا الطلاق إلا نادراً، ولا يتزوجون إلا من بعضهم بعضاً. وقد شكل السكان العرب ما نسبته 85 % من مجموع سكان الجولان عام 1966، أما بقية السكان فهم من أصول شركسية وتركمانية.

أما الشركس فيعود وجودهم في منطقة بلاد الشام إلى عهد الدولة المملوكية عندما جاءوا من القوقاز - التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي السابق - لخدمة جيوش السلاطين المماليك وقدموا إلى الجولان عام 1878، واستقروا في منطقة القنيطرة ثم بنو مدينتها فيما بعد. وما زالوا يحافظون على التقاليد العربية المتعلقة بالشرف والضيافة والشجاعة والأخذ بالثأر وحماية 18000 نسمة قبل تهجيرهم مع بقية السكان - المستجير، وقد وصل عددهم إلى نحو 17000 أثناء حرب 1967، حيث أصبحوا نازحين في دمشق، كما هاجر قسم منهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعاد قسم آخر إلى الجمهوريات الشركسية في الاتحاد الروسي.

والى جانب الشركس يوجد التركمان، وهم من السلالة الطورانية - التركية، وصلوا إلى الجولان في أواسط القرن السادس عشر الميلادي، وأسكنهم العثمانيون في قرى على جوانب طريق دمشق - فلسطين، ويعيشون حياة ما بين البداوة والحضارة وهم يتحدثون العربية بطلاقة وبلغ عددهم 4500 نسمة عام 1967.

يدين غالبية سكان الجولان بالدين الإسلامي بمذاهبه المختلفة إذ تصل نسبتهم إلى 97 وما تبقى هم نصارى من العرب والأرمن.

قدر عدد سكان الجولان عام 1967 بحوالي 138 ألف نسمة كانوا يعيشون في 139 قرية، وبعد حرب حزيران واحتلال إسرائيل لهضبة الجولان تم تهجير ما مجموعه 131 ألف نسمة من السكان، وكان من بين المهجرين 10 آلاف من اللاجئين الفلسطينيين الذين هاجروا أثناء نكبة 1948 واستقروا في الجولان.

دمرت قوات الاحتلال الإسرائيلي عام 1967 معظم القرى والبلدات السورية في هضبة الجولان، ولم ينج من همجية الاحتلال وآلته العسكرية سوى ست قرى ظلت مأهولة بالسكان وهي: مجدل شمس، بقعاتا، عين قينية

الغجر، مسعده، وسحيتا، شكل من فيها سكان الهضبة والبالغ عددهم 6396 نسمة. وفي عام 2008 وصل عدد سكان هذه القرى إلى ما يقارب 17000 نسمة.

بعد أن تمكنت قوات الاحتلال الصهيوني من بسط سيطرتها وإحكام قبضتها على هضبة الجولان، حاولت استمالة السكان الدروز إلى جانبها عبر إقناعهم بوجود إقامة دولة درزية مستقلة عن الدولة السورية، وشجعت عدداً من القيادات الدرزية على القيام بذلك، ووعدتهم بأنها ستعترف بهم فور إعلان دولتهم، وستقدم لهم كل أسباب الدعم عبر ترحيل دروز إسرائيل المقيمين في الجليل وضمهم إلى الدولة الدرزية المنشودة.

وكانت إسرائيل تهدف من وراء ذلك العرض؛ إقامة جيش درزي يعمل على محاربة الجيوش العربية في الشرق والشمال، وبذلك تؤمن إسرائيل جبهتها الشمالية عن طريق إيجاد عناصر موالية لها في المنطقة، إلا أن هذا المخطط فشل بسبب كشف السوريين في الجولان له ومعرفة نوايا إسرائيل من ورائه، مؤكداً انتماءهم الكامل وولاءهم للجمهورية العربية السورية وأنهم جزء لا يتجزأ منها.

9. الأهمية التاريخية لهضبة الجولان

تتبع أهمية هضبة الجولان من الموقع الجغرافي المميز لها، حيث كانت الهضبة حتى عهد الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين جسراً طبيعياً استراتيجياً ومعبراً هاماً بين مصر وفلسطين من جهة، وسورية وهضبة الأناضول وبلاد الرافدين من جهة أخرى، وذلك عبر الطرق التاريخية الواصلة بين جسر بنات يعقوب في فلسطين ثم القنيطرة في الجولان ومنها إلى دمشق وباقي المناطق.

كما شهد الجولان عهداً مزدهراً منذ العهد الكنعاني وحتى الاحتلال الإسرائيلي للمنطقة واضطلع بأهمية إستراتيجية وعسكرية كبيرة؛ فهو يشكل قلعة طبيعية منيعة في حالات الحروب بسبب وجود العوامل الطبيعية كالجبال والأودية التي تعمل كدروع واقية ضد الهجمات العسكرية، ولذلك فإن السيطرة على الجولان تعني القدرة على الدفاع عنه وحمايته و تهديد المناطق المجاورة له واحتلالها بسهولة في نفس الوقت خاصة المناطق الغربية في فلسطين التي تشرف عليها الهضبة من علو مرتفع، كما منح جبل الشيخ المنطقة أهمية كبيرة جداً سواء بوصفه مصدراً هاماً للمياه أو بسبب ارتفاعه الذي يشكل قاعدة مراقبة عسكرية تشرف على جزء كبير من المناطق المحيطة به.

ومن الآثار الدالة على أهمية المنطقة عسكرياً، قلعة الصببية التي تشرف على قرية بانياس وتعود إلى العهد الروماني، وقد شيدت للدفاع عن بانياس ضد الهجمات والغزوات المختلفة، ويستطيع الواقف على أرض القلعة أن يشرف على بادية الشام من الشرق وشمال فلسطين كله بحيث يمكن رؤية ساحل البحر الأبيض المتوسط منها. وفي العصر الإسلامي كان الجولان قد تحول إلى قاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية خاصة في فترة الفتوحات. وشيد الأيوبيون سور بانياس القائم حتى اليوم، ويحتوي على أبراج مربعة أقيمت لأغراض عسكرية ودفاعية أيضاً. وعاش الجولان كغيره من البلاد العربية تحت الحكم العثماني حيث شهد نوعاً من النمو والتطور خاصة بعد قدوم الشركس والتركمانيين الذين انشأوا فيه العديد من القرى والمدن.

ومن أرض الجولان يمر الخط الحديدي - الحجازي الذي كان يتجه إلى فلسطين زمن العثمانيين، وأنبوب البترول السعودي (التابلاين) الذي يصب على الساحل اللبناني في منطقة الزهراني.

وفي العصر الحديث، زادت أهمية الجولان بعد تكالب القوى الاستعمارية على البلاد العربية، وأصبحت هذه المنطقة محط أطماع هذه القوى بسبب الميزات المختلفة والهامة التي تتمتع بها، إلى أن وقعت فريسة الاحتلال الصهيوني أثر حرب حزيران عام 1967.